IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)

Journal Of Language Studies

Contents available at: http://jls.tu..edu.iq

Levels of Surprise in the Holy Qur'an

Dr. Khalid Mudhir Ahmad *

Salah-Aldin General Directorate of Education

E-Mail: Khaladahmed 1969@st.tu.edu.iq

Keywords:

- Eloquence
- Surprise
- The Holy Qur'an

Article Info

Article history:

-Received : 12/4/2019

-Accepted : 18/5/2019

Available online : 30/6/2019

Abstract:

Eloquence (Al-Bayan) is of great importance in uncovering the graphic facts. It is the secret in which the minds are competing and the dictionaries pass through the pens which may be hidden by many scholars and scholars. The scholars and commentators studied the Quranic text in all its aspects, and its signs, Which may lie behind the miraculous text, especially the mysteries that relate to its miraculousness.

The paper is divided into two sections: Section One is devoted to the levels of surprise: the strength of surprise and the surprise of the undesirable. The second is devoted to the subjects of surprise, namely the surprise in metaphor, movement in surprise without *itha* (if) and the wonderful movement among times, places and events. The paper ends with a concusion which sums up the results of the study.

* **Corresponding Author**: Dr. Khalid Mudhir Ahmad. - **E-Mail:** Khaladahmed 1969@st.tu.edu.iq

. **Tel :**009647703043811 ، **Affiliation:** Salah-Aldin General Directorate of Education –Iraq.

مستويات المفاجأة في آيات القرآن الكريم

م. د خالد مظهر أحمد العيساوي
المديرية العامة لتربية محافظة صلاح الدين

الكلمات المفتاحية :

- البيان

- المفاجأة

-القران الكريم

معلومات البحث

تاريخ البحث :

الاستلام :2019/4/12

القبول : 2019/5/18

التوفر على الانترنت : 2019/60/30

الخلاصة:

لعلم البيان أهمية كبيرة في كشف اللطائف البيانية، فهو السر الذي تتبارى فيه الأذهان وتخط به الدرر الأقلام التي ربما تخفى على كثير من الباحثين والدارسين، إذ درس العلماء والمفسرون النصَّ القرآني الكريم من جميع جوانبه، ووقفوا على دلالاته، وسبر أغواره، وبيان لطائفه، وإشاراته التي ربما تكون كامنة وراء النص المعجز، ولاسيما منها الأسرار البيانية التي تتعلق في إعجازه .

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وبعد:

درس العلماء والمفسرون النصَّ القرآني الكريم من جميع جوانبه، ووقفوا على دلالاته، وسبر أغواره، وبيان لطائفه، وإشاراته التي ربما تكون كامنة وراء النص المعجز، ولا سيما منها الأسرار البيانية التي تتعلق في إعجازه.

ولعلم البيان أهمية كبيرة في كشف اللطائف البيانية، فهو السر الذي تتبارى فيه الأذهان وتخط به الدرر الأقلام التي ربما تخفى على الكثير من الباحثين والدارسين، ومن هنا جاء

اختياري هذا الموضوع العظيم، فكانت مستويات المفاجأة في آيات القرآن الكريم محور الدراسة والبحث.

ثم اقتضت خطة البحث أن يقسم على مبحثين:

تناولت في المبحث الأول: مستويات المفاجأة، وهما مستويان: (المستوى الأول: شدّة المفاجأة، والمستوى الثاني: مفاجأة المكروه)، وتضمن المبحث الثاني موضوعات المفاجأة، وهي (المفاجأة في الاستعارة، والانتقال في المفاجأة من دون (إذا)، والتنقل العجيب في الأزمنة والأمكنة والأحداث المفاجأة، والمفاجأة في الكناية) ثم خاتمة ضمنتها أهم النتائج المستخلصة من البحث.

أهداف البحث:

حاول البحث تحديد معنى المفاجأة وبيان مستوياتها، وأساليبها وتجلياتها في النص القرآني الكريم من خلال الوقوف على إشارات المفسرين من النحويين والبلاغيين، فالمفاجأة مصطلحٌ دالٌ على استعمال نحوي وبلاغي متميّز، وقد تحدث القرآن الكريم عن المفاجأة في آيات كثيرة، وقد وقف الباحث عليها .

المفاجأة لغة:

فجأ فاجأه الأمرُ مفاجأةً وفِجاءً، وكذلك فجأه الأمر وفجأه الأمر، بالكسر والنصب، فجاءة بالمد والضم[(i)]، و"فجأ" الأمر وفجئ فجاءة جاء بغتة وفجأته[(ii)]، وفجأ فَجِئَه الأَمْرُ وفَجَأَه بالكسر والنصب يَفْجَؤُه فَجْأً وفُجَاءةً بالضم والمدّ وافْتَجَأَه وفاجأَه يُفاجئُه مُفَاجأَةً وفِجاءً هَجَمَ عليه من غير أَن يَشْعُر به، وقيل إِذا جاءه بَغْتةً من غير تقدّم سبب، والفُجاءةُ ما فاجأَكَ ومَوْتُ الفُجاءةِ ما يَفْجَأُ الإِنسانَ من ذلك[(iii)]، وقريء في الغريب: "فاجَأها المخاض"، من المفاجأة، وهي البغتة[(iv)].

المفاجأة اصطلاحاً:

من المعلوم أن الأمر المفاجئ هو الآتي من غير ترقب ويستعظم أمره غالبا[(v)]، قال ابن الحاجب: (ومعنى المفاجأة حضور الشيء معك في وصف من أوصافك الفعلية تقول خرجت فإذا الأسد بالباب، فمعناه حضور الأسد معك في زمن وصفك بالخروج أو في مكان خروجك وحضوره معك في مكان خروجك ألصق بك من حضوره في خروجك؛ لأن ذلك المكان يخصك دون ذلك الزمان وكلما كان ألصق كانت المفاجأة فيه أقوى واختلف في (إذا) هذه فقيل إنها حرف وعليه الأخفش ورجحه ابن مالك، وقيل ظرف مكان وعليه المبرد ورجحه ابن عصفور)[(vi)]، فيكون إيراد المعنى الأصلي والمعنى المجازي أحدهما مع الآخر مصدر مفاجأة بعكس الأمر المتوقع. وتكون المفاجأة بحدوث ما لم يكن في حسبان المخاطب، وإن الضرب على الصدر عند وقوع الدهشة عادة موروثة عند المرأة، فلا زالت النسوة تفعل هذا عند المفاجأة. وقد ينوب عنها لطم

الوجـه، ففـي القرآن ورد فـي قولـه تعـالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ الذاريات: 29، قولـه: (فصكت وجهها) قـال ابـن عبـاس: "لطمت وجهها"[vii]، وصـفته الضرب باليد وهي مبسوطة، وتقوم هذه المفارقة على مخالفة ما يتوقعه المرء في الموقف الذي يمر به فيفاجأ تماما لما في ذهنه[viii].

وقد تحدث القرآن الكريم عن المفاجأة التي يذهل لها من كان ينكر يوم البعث، ويصور القرآن مشهد الحديث يدور بين من آمن بالبعث ومن كفر به، ويصور ذهول هؤلاء وقد فوجئوا بيوم القيامة، فيبدأ الحساب، فيناقش هؤلاء الذين لم يرعوا حق يومهم هذا فأنكروه، ولم يصغوا إلى إنذار الرسل، بل غرتهم الحياة الدنيا[ix]، فيفاجؤوا بأهوال ذلك اليوم العظيم.

ومما تقدم نخلص أنّ (إذا) الفجائية تأتي بمعاني متعددة منها: المفاجأة، والمباغتة، والإسراع والمسارعة، والمعاجلة، والابتدار والمبالغة في بعض الأمور، وفعل الشيء بلا تريث أو تمهل، وحدوث الأمر بلا ترقب أو توقع ويتبين ذلك من خلال الغوص في مكامن الآيات القرآنية التي تؤدي دلالة المفاجأة في النص القرآني الكريم.

المبحث الأول: مستويات المفاجأة

المستوى الأول: شدّة المفاجأة: يتمثل ذلك المستوى في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ الأنعام: 7 – 9 .

لما تمادى القوم تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره وبيانه قُضِيَ الأمرُ الإلهي بإهلاكهم وإنزال أشد العذاب عليهم، وبعد نزوله لا ينظرون طرفة عين، أما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله (ﷺ) في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون، فلم يكن بدّ من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة؛ وأما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة، فيجب إهلاكهم؛ وأما لأنهم إذا شاهدوا ملكاً في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى قوله:﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾، وبعد ما بين الأمرين: قضاء الأمر وعدم الإنظار جعل عدم الإنظار أشدّ من قضاء الأمر؛ لأنّ مفاجأة الشدّة أشدّ من الشدّة نفسها[x].

وقال تعالى:﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ الأنبياء: ٤٠، فنجد دلالة المفاجأة في سياق النص القرآني المعجز في الآية التي سبقتها قوله تعالى:﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا

عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٩، إن الله جلّت قدرته يقرر أنّ هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة لا تأتي حين تأتيهم عن معرفة وعلم منهم بوقت مجيئها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها، فتبهتهم وتدهشهم وتغشاهم فجأة، وتلفح وجوههم بصورة مباشرة، كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه، فلا يستطيعون كفافها بل تفجؤهم فتغلبهم، ولو يعلمون ما يعلمون ما هو زائد على الأوّل، وأعظم منه وهو أَن تأْتيهم بغتة، (فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا) أي: أنهم لا يطيقون حين تباغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم، فهم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها، وإنابة ينيبون؛ لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإنابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة، وذلك هو منهج الله تعالى وسنته في التعامل مع خلقه[xi].

وللسياق أثره البالغ في أسلوب القرآن الكريم كلّه، فلما لم يكن السياق مقتضياً التأكيد، اكتفى بمجرد الحدوث فقال في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الشعراء: ١٩٨ – ٢٠٢، (سلكناه) أي كلامنا والحق الذي أرسلنا به رسلنا بما لنا من المكانة والعظمة في قلوبهم هكذا كان الأصل، ولكنه علق الحكم بالوصف وعمَّ كل زمن وكل من اتصف به فقال: ﴿ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾، أي الذين طبعناهم على الإجرام، وهو القطيعة لما ينبغي وصله، فالقلب لا يتسع للحق الذي هو كلام الله تعالى ولا ينشرح به، بل تراه ضيقاً حرجاً.

ولما كان هذا المعنى خفياً بينه بقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، أي: من أجل ما جبلوا عليه من الإجرام، وجعل على قلوبهم من الوقر والطبع والختام حتى يروا العذاب الأليم، فحينئذ يؤمنون حيث لا ينفعهم الإيمان ويطلبون الأمان حيث لا أمان ولات ساعة مندم، والمعنى لا حجة لهم، فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر[xii].

ولما كان إتيان الشر **فجأة أشد**، وكان أخذه جلّت قدرته لهم عقب رؤيتهم له من غير مهلة يحصل فيها نوع استعداد أصلاً، دلَّ على ذلك مصوراً لحاله باستعمال التعبير القرآني الفاء الدالة على **الأشدية والتعقيب:** ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ لمناسبة السياق وما يتطلبه الموقف، ولما كان البغت الإتيان على غفلة ومن غير توقّع حقق ذلك نافياً للتجوز بقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، ودلّ على تطاوله في آماله بحصوله وتردده في حلالهم، بقوله دالاً على ما هو أشد عليهم من المفاجأة بالإهلاك؛ لأنّ العقوبة إذا أتت فجأة كانت أنكى وأشد وقعا، وسنّة الله في الانتقام أن يثير ريح البغتة في حال الانشغال والانغماس في النّعمة والمنّة، وحالهم ينطق بالأسى والأسف:

(فيقولوا) أي تأسفاً واستسلاماً وتلهفاً في تلك الحالة لعلمهم بأنه لا طاقة به بوجه من الوجوه: (هل نحن منظرون) أي مفسوح لنا في آجالنا لنسمع ونتعظ فنطيع، ولما تحقق أن حال هؤلاء الكفار عند أخذهم بالعذاب هو الجؤار بالذل والصغار به تسبب عنه ما يستحقون باستعجاله من الإنكار منبهاً على أن قدره يفوق الوصف بنون العظمة:(أفبعذابنا يستعجلون) وقوعه عليهم، أي وقد تبين لهم كيف كان أخذه للأمم الماضية والقرون الخالية والأقوام العاتية، واستعجالهم متمثل بقولهم: أمطر علينا حجارة من السماء، أسقط السماء علينا كسفاً، إئت بالله والملائكة قبيلاً، ولما تصورت حالة مآلهم ومآبهم بأخذهم بالعذاب وكان استعجالهم به يتضمن الاستخفاف والتكذيب والوثوق بأنهم ممتعون، وتعلق آمالهم بأن تمتيعهم بطول زمانه، وكان من يؤذونه يتمنى لو عجل لهم فاجأهم الله تعالى بقدرته وجبروته فقهرهم بذلك العذاب الشديد[xiii].

قال تعالى﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ الأنعام: ٤٤.

فاجأهم الله جلّت قدرته فأصابهم بالعذاب بغتة أي فجأة أعز ما كانوا ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ يعني فإذا هم مرتهنون آيسون من كل خير، فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ يعني أصل القوم الَّذِينَ ظَلَمُوا يعني أشركوا فلم يبق منهم أحد، وأن الله تعالى بإهلاك أعدائه يخوف كفار مكة، وقال أهل المعاني وإنما أخذوا في حال الرخاء والراحة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية، وإنما أخذناهم في حال الرخاء ليكون **أشد لتحسرهم فجأة** وهم على أحسن حال يتمنونه لتشتد حسرتهم ويتضاعف ندمهم على ما تركوا من اللذات والشهوات لأنهم لو أخذوا حال الضيق لهان عليهم الأمر؛ لأن كثيرا من المبتلين يتمنون الموت ليتخلصوا من بؤسهم، بغتة أي فجأة وجهرة مُعَاينة (فلم نمكنهم من التضرع عند خفوق الأمر، فلن يمهلهم أصلاً بل نزل عليهم من أثقال العذاب، وأباح بهم من أحمال الشدائد وصروف البلايا ما أذهلهم وشغلهم عن كل شيء حتى بهتوا، ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ أي تسبب عن ذلك البغت أن فاجأوا السكوتَ على ما في أنفسهم واليأس تحسراً وتحيراً، واستمروا بعد أن سكتوا إلى أن همدوا وخفتوا، ففي نفي التضرع عن المتقدمين بعد أن أثبته لمشركي هذه الأمة استعطاف لطيف، وفي ذكر استدراج أولئك بالنعم عند نسيان ما ذكروا به إلى ما أخذهم بغتة من قواصم النقم غاية التحذير، ومعنى المفاجأة متحقق من سياق النص القرآني المعجز، فبعد نسيانهم آيات الله تعالى ومبادرتهم بإعراضهم المتعمد عن أوامره سبحانه وتعالى، ومقابلة نعمه وفضله بالجحود والنكران من دون تدبر أو تفكر، فاستحقوا العذاب الواقع عليهم لا محالة فتركهم مبلسون متحيرون آيسون من رحمته مما حلّ بهم[xiv].

ومن النصوص القرآنية الدالة على شدة المفاجأة قوله تعالى:﴿ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ القلم: ٢١ – ٢٥

جاءت هذه الآيات في سياق ذكر قصة أمر الجنة وما صارت إليه من احتراق أشجارها، والقضاء التام على ثمارها؛ لتعود بنا إلى أصحابها الذين استيقظوا في الصباح الباكر، وما زالوا مصمّمين على تحقيق ما اتفقوا عليه، وتأمل التصوير القرآني لحالهم، وكأنك تراهم صورة ماثلة، فها هم أولاء قد قاموا في الصباح قبل طلوع الشمس، وأخذ كل منهم ينادي أخاه ليوقظه، مما يدل على تحمسهم وإصرارهم على تنفيذ مخططهم، وكل منهم يقول لإخوته: هبوا لنذهب معًا إلى بستاننا، إن كنتم تريدون قطع ثماره قبل مجيء المساكين والفقراء كما جرت بذلك عادتهم، وبسرعة تجمعوا وانطلقوا بسرية تامة، يتحدثون بصوت منخفض، يتواصون فيما بينهم، ويؤكدون ذلك قائلين: ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾، وساروا مسرعين إلى بستانهم يملؤهم الغضب والحقد على أولئك المساكين، ويعتقدون أنهم على منْعِ المساكين قادرون، فقد مات أبوهم الذي كان في نظرهم يسيء إليهم؛ حيث يعطي المساكين ما يعطي، بل كان الرجل يخبر المساكين بموعد جنيه لثمار جنته حتى يحضروا لينالوا من خيره وبره، أمّا الآن فهذه الحديقة ملك خاصٌّ لهم، فهم لذلك يستطيعون أن ينفِّذوا فيها ما يحبون، وجاءت كلمة الحرد في قوله: (وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) التي لم تذكر في كتاب الله إلّا في هذه الآية، وأن اختيار هذه الكلمات الفريدة في القرآن مقصودة، لمناسبة كون هذه القصة أيضًا فريدة لم تذكر في القرآن إلّا في سورة "القلم"، فماذا كان من أمرهم حين وصلوا مصبحين إلى جنتهم؟ هنا يأتي مشهد تصويري آخر ترسمه الآيات المذكورة من خلال السياق العام، فبين هذا المشهد وسابقه ترى مسافة يملؤها الفكر؛ ليقول: بأن هؤلاء الأبناء بعد أن قام كل منهم مبكِّرًا ينادي إخوته ليخرجوا جميعًا مبكرين، ثم انطلقوا بجمعهم يتكلمون بصوتٍ خفيض حتى لا يلفتوا إليهم الأنظار، ويؤكدون ما بيتوه ليلًا من حرمان المساكين، وأنهم صاروا يظنون– لجهلهم– أنهم قادرون على الاستحواذ على ثمار جنتهم، والانفراد بها وحدهم، دون أن يعطوا منها فقيرًا شيئًا، فساروا حتى وصلوا إلى حديقتهم؛ فماذا كان؟ ولأنّ القرآن يعبِّر عن ذلك بهذه الكلمات، التي تحمل الأسى والحزن، وتصوّر الدهشة التي اعترت هؤلاء الأبناء، فالألفاظ ليس فيها نبوة تبدو، ولو بترجيح النظر كرَّات، والتناسق فيها متوافق النغم تفيد برنينها، وتصل إلى القلوب في عميقها، والمعاني متآخية تتجِه كلها إلى تصوير الطامعين أهل الشح، وكيف يبتدئ بالحرص العنيف المغالى فيه، وتغليب الطمع في كل شيء، والاستيثاق من تحقق ما يطمع فيه، كما يصور له الطمع، ثم يشتدُّ المنع حتى يكون لكل خير، ثم تكون المفاجأة[xv]، فهي تذكر أنّهم بمجرّد أن وصلوا ورأوها أنكروا أنفسهم، **ومن شدة المفاجأة**

قالوا: (إِنَّا لَضَالُّونَ) أي: إنا سلكنا طريقًا آخر أدّى بنا إلى بستان آخر محترق ليس به ثمر، وبستاننا كان وارف الظلال مثقلًا بالثمار، ثم أفاقوا من **دهشتهم**، وتيقنوا أن هذه جنتهم فقالوا: (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُون) أي: إنّ الله حرمنا من ثمار جنتنا، بل حرمنا من بقاء أشجارها لأنا عقدنا النية على حرمان المساكين، وكم في كلمة الحرمان من تعبير عن الأسى والحزن والألم، وكأنها تصورهم والكآبة قد علت وجوههم، والألم يعتصر قلوبهم، وفي هذا المشهد ترى واحدًا منهم يقف يلومهم أن لم يستجيبوا لنصحه، وهو أخ لهم كما قال ربنا: أوسطهم، أي أرجحهم عقلًا وأصوبهم رأيًا، أو أوسطهم سنًّا، قال لهم: **(أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)**، فهو يذكرهم بنصيحته لهم حين كانوا مجتمعين للتشاور في كيفية الحصول على ما في جنتهم كاملًا، من دون أن يعطوا الفقراء منها شيئًا، ولم يقولوا إن شاء الله، ظنًّا منهم أنهم بتدبيرهم سوف يحققون مطلبهم، وأنه لا مجال لمشيئة الله في ذلك، أو يذكرهم هذا الأخ الناصح بما طلبه منهم من التوبة والرجوع عن هذه الخطة التي ستؤول ثمرتها إلى الحرمان، فلم يستجيبوا لنصحه، فاعترفوا بذنبهم قائلين: **(سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)** (القلم: 29)[xvi].

هكذا تتضح ملامح الصورة المخيفة في قصة أمر الجنة وما صارت إليه من احتراق أشجارها، والقضاء التام على ثمارها؛ لتعود بنا إلى أصحابها الذين استيقظوا في الصباح الباكر، وما زالوا مصمّمين على تحقيق ما اتفقوا عليه، وتأمل معي تصوير القرآن لهم، وكأنك تراهم صورة ماثلة أمام ناظريك.

وفي قوله تعالى: **(فَإِذَا هِيَ حية تسعى)** يوضح الفجائية التي أذهلت فرعون، فقد تحولت العصا إلى ثعبان ضخم في لمح البصر بمجرد إلقائها، ومن فوائد تدريب سيدنا موسى على إلقاء العصا في طور سيناء أن موسى لن تأخذه المفاجأة حين يلقيها أمام فرعون، بل ستأخذ المفاجأة فرعون، كأن التدريب أولاً لإقناع موسى وضمان عدم خوفه في لحظة التنفيذ، وقد خاف منها موسى لحظة التدريب؛ لأن العصا صارت ثعباناً وحيَّة حقيقية، ولو كانت من نوع السحر لظلت عصا في عين الساحر ولا يخاف منها، إذن خوفه منها إبَّان التدريب دليل على أنها انقلبت حقيقة، ولا تخيلاً، وتلك هي مخالفة المعجزة للسحر، فالمعجزة حقيقة والسحر تخييل، وهذا هو الذي سيجعل السحرة يخرون ساجدين لأنهم قد ذهلوا مما حدث، فشدة المفاجأة هنا قد حققت الصدمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ النمل: ١٣.

المستوى الثاني: مفاجأة المكروه

نجد ما يوضح ذلك المعنى في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزمر: ٧١ – ٧٣.

قال ابن القيم:" وهذا في غاية البعد، ولا دلالة في اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لأجلها بل هذا من باب حذف الجواب بنكتة بديعة، وهي أنّ تفتيح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ففتحت في وجوههم، لأنه أبلغ في **مفاجأة المكروه**، وأما الجنة: وهي مأدبة الله، فقد استدعاهم إليها مفتحة الأبواب وأتى بالواو العاطفة هاهنا الدّالة على أنها جاءوها بعد ما فتحت أبوابها"[xvii]، فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة، وذكره في آية أهل النار؟.

فيقال: هذا أبلغ في الموضعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها، وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم، فيفجؤهم العذاب بغتة فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة. فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط: أن يكون عقيبه. والنار دار الإهانة والخزي، فلم يستأذن لهم في دخولها، ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول[xviii].

وقال الزمخشري في وصف السوقين: "فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق ؟ قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مراكبه؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرّم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين"[xix].

المستوى الثالث: مفاجأة النقمة

وتتمثل مفاجأة النقمة في آيات القرآن بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأحقاف: ٢٤ – ٢٥ .

فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحابا عارضا في ناحية من نواحي السماء (مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ) والعرب تسمي السحاب الذي يُرَى في بعض أقطار السماء عشيا، ثم يصبح من الغد قد استوى، وحبا بعضه إلى بعض عارضا، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا) ظنا منهم برؤيتهم إياه أن غيثا قد أتاهم يَحيون به، فقالوا: هذا الذي كان هودٌ يعدنا، وهو الغيث.

وذُكر أنهم قالوا: كذب هود كذب هود؛ فلما خرج نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم الله فشامه، قال: (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)، فساق الله السحابة السوداء التي اختار قَيْلُ ابن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث، فلما رأوها استبشروا (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا): يقول الله عزّ وجلّ: (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا

عَذَابٌ أَلِيمٌ)، وقوله (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب، قد عرض لهم في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به، ما هو بعارض غيث، ولكنه عارض عذاب لكم، بل هو ما استعجلتم به: أي هو العذاب الذي استعجلتم به، فقلتم: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) والريح مكرّرة على ما في قوله (هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) كأنه قيل: بل هو ريح فيها عذاب أليم.

والعارض: السحاب الذي يعرض في أفق السماء، ومثله: الحبي والعنان، من حبا وعنّ: إذا عرض، ومعنى:(قل بل ما استعجلتم به هي ريح)، أي قال الله تعالى: قل (تُدَمّرُ كُلَّ شَىْء) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير، فعبّر عن الكثرة بالكلية، فلا ترى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم، وروى أنّ الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجوّ حتى ترى كأنها جرادة . وقيل: أوّل من أبصر العذاب امرأة منهم قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار . وروي: أوّل ما عرفوا به أنه عذاب: أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم؛ فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وأما الله (سبحانه وتعالى) فسلط عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ولهم أنين، ثم كشفت الريح عنه، فاحتملتهم فطرحتهم في البحر، وروى أنّ هوداً لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلَّذه الأنفس[xx].

والعارض في قولهم: (هذا عارض ممطرنا): السحاب العظيم الذي يعرض في الأفق كالجبل، و(ممطرنا) نعت لـ (عارض).

وقوله: (بل هو ما استعجلتم به) مقول لقول محذوف، يجوز أن يكون من قول هود إن كان هود بين ظَهرانيهم ولم يكن خرج قبل ذلك إلى مكة أو هو من قول بعض رجالهم رأى مخائل الشرّ في ذلك السحاب . قيل: القائل هو بكر بن معاوية من قوم عاد . قال لما رآه: (إني لأَرى سحاباً مرمداً لا تدع من عاد أحداً) لعله تبين له الحق من إنذار هود حين رأى عارضاً غير مألوف ولم ينفعه ذلك بعد أن حلّ العذاب بهم، أو كان قد آمن من قبل فنجّاه الله من العذاب بخارق عادة، فلما رأوا الذي أو عدوه كسحاب عارض قد اعترض فيه عذاب ولم يعلموا أن فيه عذابا، فتخيل داعياً يدعوه فالتفت، وهذا من التخيّل في الكلام البليغ، وجعل العذاب مظروفاً في الريح مبالغة في التسبب لأن الظرفيّة أشدّ نقمة وملابسة بين الظرف والمظروف من ملابسة السبب والمسبب، والتدمير: الإهلاك، (وكل شيء) مستعمل في كثرة الأشياء فإن (كُلاَّ) تأتي كثيراً في كلامهم بمعنى الكثرة، والمعنى: تدمر ما من شأنه أن تُدمره الريح من الإنسان والحيوان والديار وقوله: بأمر ربها (حال من ضمير) تدمر، وفائدة هذه الحال تقريب كيفية تدميرها كلَّ شيء، أي تدميراً عجيباً بسبب أمر ربها، أي تسخيره الأشياء لها فالباء للسببية، وأضيف الرب

إلى ضمير الريح؛ لأنها مسخرّة لأمر التكوين الإلهي فالأمر هنا هو أمر التكوين، (فأصبحوا) أي صاروا، وأصبح هنا من أخوات صار، وليس المراد: أن تدميرهم كان ليلاً فإنهم دمّروا أياماً وليالي، فبعضهم هلك في الصباح وبعضهم هلك مساء وليلاً، والخطاب في قوله (لا ترى) لمن تتأتّى منه الرؤية حينئذٍ إتماماً لاستحضار حالة دمارهم العجيبة حتى كأن الآية نازلة في وقت حدوث هذه الحادثة، والمراد بالمساكن: آثارها وبقاياها وأنقاضها بعد قلع الريح معظمها، والمعنى: أن الريح أتت على جميعهم ولم يبق منهم أحد من ساكني مساكنهم .

وهذا استخلاص لموعظة المشركين، وليعلموا أن القوم كانوا مثلهم مستجمعين قوى العقل والحسّ وأنهم أهملوا الانتفاع بقواهم فجحدوا بآيات الله واستهزأوا بها وبوعيده، فحاق بهم ما كانوا يستهزئون به، وقريش يعلمون أن حالهم مثل الحال المحكيّة عن أولئك، فليتهيّؤوا لما سيحلّ بهم، ولإفادة هذا الاستخلاص غُيّر أسلوب الكلام إلى مخاطبة المشركين من أهل مكة، والتمكين: إعطاء المَكِنة (بفتح الميم وكسر الكاف) وهي القدرة والقوة، يقال: مكُن من كذا وتمكن منه، إذا قدر عليه، ويقال: مكَّنه في كذا، إذا جعل له القدرة على مدخول حرف الظرفية فيفسر بما يليق بذلك الظرف، فالمعنى: جعلنا لهم القدرة في الذي لم نمكنكم فيه، أي من كل ما يمكّن فيه الأقوام والأمم[xxi].

المبحث الثاني: موضوعات المفاجأة

أولا: المفاجأة في الاستعارة

1- الاستعارة الأصلية

وتتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴾ الحج: ٥٥، فلا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم الساعة (بَغْتَةً) وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة، أي: فجأة، وهذا من أحسن الاستعارات؛ لأن العقيم المرأة التي لا تلد، فكأنه سبحانه وصف ذلك اليوم بأنه لا ليل بعده ولا نهار؛ لأن الزمان قد مضى، والتكليف قد انقضى، فجعلت الأيام بمنزلة الولدان للّيالى، وجعل ذلك اليوم من بينها عقيما؛ لأنه لا ينتج ليلا بعده، ولا يستخلف بدلا له. وقد يجوز أيضا أن يكون المراد أن ذلك اليوم لا خير بعده لمستحقي العقاب الذين أشار إليهم النص القرآني، فوصف ذلك اليوم بالعقم؛ لأنه لا ينتج لهم خيرا، ولا ينتج لهم فرحا[xxii].

وقد وصف يوم الحرب بالعقيم لأنّ أولاد النساء يقتلون فيه، فيصرن كأنهن عقم لم يلدن، أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب، فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز، وقيل: هو الذي لا خير فيه، يقال: ريح عقيم إذا لم تنشيء مطراً ولم تلقح شجراً . وقيل: لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه، وعن الضحاك أنه يوم القيامة، وأن المراد

بالساعة مقدّماته، ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم: يوم القيامة، كأنه قيل: حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها، فوضع (يَوْمٍ عَقِيمٍ) موضع الضمير[xxiii].

فالمشركون في شك وجدال من التنزيل الكريم، لما طبع على قلوبهم حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ أي القيامة بَغْتَةً أي فجأة أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ أي يوم لا يوم بعده. كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام، فما لا يوم بعده يكون عقيما. والمراد به الساعة أيضا، كأنه قيل (أو يأتيهم عذابها) فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل، وقد أفاده أبو السعود في تفسيره، أي لأنه بمعنى (شديد) لا مثل له في شدته، فلا يزال الذين كفروا في ريب من الحق أو الكتاب، لا تستقر عقولهم عليه حتى تأتي ساعة هلاكهم بغتة، فيلاقون حسابهم عند ربهم، أو إن امتد بهم الزمن، ومادّهم الأجل، فسيصيبهم عذاب يوم عقيم. يوم حرب يسامون فيه سوء عذاب القتل أو الأسر، فلا ينتج لهم من ذلك اليوم خير ولا بركة، بل يسلبون ما كان لديهم، ويساقون إلى مصارع الهلكة، وهذا هو العقم في أتم معانيه وأشأم درجاته [xxiv].

2- الاستعارة التبعية

في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ يس: ٧٧ – ٧٨.

جاء السياق القرآني بحرف (إذا) المفاجأة استعارةٌ تبعية استعير الحرف الدال على معنى المفاجأة لمعنى ترتّب الشيء على غير ما يظن أن يترتبَ عليه، وهذا معنى لم يُوضع له حرف، ولا مفاجأةَ بالحقيقة هنا؛ لأن الله تعالى لم يفجأه ذلك ولا فَجَأ أحداً، ولكن معنى المفاجأة يتحقق في أنّه لو تدبر النّاظر في خلق الإنسان لترقب منه الاعتراف بوحدانية خالقه وبقدرته على إعادة خلقه، فإذا سمع منه الإشراك والمجادلة في إبطال الوحدانية، وفي إنكار البعث بعد الموت كان كمن فجأه ذلك الأمر، ولما كان حرف المفاجأة يدل على حصول الفَجْأة للمتكلم به تعيّن أن تكون المفاجأة استعارة تبعية، فإقحام حرف المفاجأة جعل الكلام مفهماً أمرين هما: **التعجيب من تطوّر الإنسان** من أمهن حالة وهي النطفة إلى أبدع حالة وهي حالة الخصومة، والإبانة الناشئتين عن التفكير والتعقل، والدلالة على كفرانه النعمة وصرفه ما أنعم به عليه في عصيان المنعِم عليه، فالجملة في حدّ ذاتها تنويه، وبضميمة حرف المفاجأة أدمجت مع التنويه حالة التعجيب، ولو قيل: فهو خصيم أو فكان خصيماً لم يحصل هذا المعنى البليغ[xxv].

ثانيا: الانتقال في المفاجأة (من دون إذا)

إنّ التنقُّلُ بين الأزمان والأمكنة بأسلوب المفاجأة من دون مقدّمة تُشْعِر بذلك الانتقال، وكذلك التنقُّلُ والتراوح بين عالم الابتلاء وعالم الجزاء، على سبيل التعاقب في النصّ الواحد، ومثله التَّنَقُّل والتراوُحُ بين المشاهد، من موقف الحساب مثلاً إلى مُسْتَقَرّ الجزاء، إلى غير ذلك من مشاهد

ومواقف أُخْرويّة، فإلى الحياة الدنيا وما فيها من أحداث، أو إلى ما تستدعي من خطاب، حتى كأنّ الزَّمَنَ كلَّه ماضيَه وحاضرَهُ ومُسْتَقبَلَهُ، مع الأمكنة كلّها من عالَم الابتلاء الذي يعيشه الناس، ومن عالم الجزاء على لوحة واحدة، تَتَنَقَّلُ عَلَيْها عدساتُ البيان بحسب مقتضيات الإثارة، ولَفْتِ النَّظر وشدِّ الانتباه، لتصور مجريات تلك الأحداث، وأنّ هذا التنقُّلَ والتراوح المفاجئ من دون مقدّمة تُشْعِر بالانتقال، هو من الإبداع الفنّي المتحقق في أسلوب القرآن المجيد، ففي طائفة من النصوص القرآنية نُلحِظُ أنَّه بينما يكونُ النّصّ يخاطبُ الناس وهُمْ في عالم الابتلاء الدُّنيويّ، إذا به يَنْتَقِلُ مُفَاجأةً إلى مَشْهدٍ من مشاهدهم، وهُمْ في عالم الجزاء الأخروي، فإذا به يفاجئ بالحديث عنهم وهم في عالم الابتلاء الدنيويّ، مع التنويع في الأساليب، والتغيير في منهج الخطاب، الأمر الذي يشُدُّ الفكر من أعماقه، لدى من هو حريصٌ على تَلَقِّي المعرفة، وتَذَوُّقِ جمال البيان، وروعةِ الكلام البليغ، فَهُو بسبب ذلك يُتابعُ التَّدَبُّر بنشاطٍ فكريّ متجدّد، وعلى خلاف النَّمطِيّة الوَاحِدَة في أسلوب تقديم الأفكار، وعرض المعارفِ وسَرْدِها على وتيرة واحدة، فإنَ هذه النمطيّة الواحدة تجلُبُ الفتور، وشرودَ الذهن، وربّما غاب معها فكر المتلقّي، ولو كان راغباً في التَّلقِّي وحريصاً عليه، وتكونُ حالُهُ كحال من ينام على نَعِيرِ الناعورة، وجعجعة الرَّحا.

وهذه الفنون القرآنيّة البديعة فنونٌ تُرْضي وتُعْجبُ مشاعر الأذكياء، وتشُدُّهم إلى المتابعة والتفكُّرِ والاستنباط، فالإنسان طبع بفطرته على الرغبة في الاستنباط، واستخراج الأشياء وفهمها بنفسه، ويَنْفِر من تَعْلِيمِه ما يستطيع اكتشافه

جاء في سورة (ص) بعد حكاية ما أعطى الله عزّ وجلّ داود عليه السلام من مِنَحٍ وهبات، وما امتحنه به، وبعد بيان أنّ الله عزّ وجلّ قد غفر له، تأتي المفاجأة بنَصٍّ كَلامِيّ مقتَطَعٍ من أحداثِ الماضي، وهو نصٌّ كان قد خاطب الله به داود عليه السلام بعد أن غفر له، فقال تعالى:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ ص: ٢٦

إنّ المعنَى الذهْنِي الذي يَقْتَضِيه سياق النصّ هو عَلَى تقدير: وَبَعْدَ أنْ غَفَرَ اللَّهُ لِدَاوُد قال له: {يا داوود إنَّا جَعَلْنَاكَ }، ولكِنْ في التحليل الأدبيّ لفَنِّ حكاية الحدثِ لا يَصِحُّ تقديرُ مثل هذا الكلام، الذي قد يُلاحَظُ ذهناً بأسرع من توارد الخواطر التي تستدعيها الأشباه والنظائر؛ لأنّ مثل هذا التقدير يُفْقِد المفاجأة جَمالَها الأدبيَّ، وفَنِّيَّتَها الإبداعيّة، بل يَنْبَغِي أن تَبْقَى المفاجأةُ كاملةً في أدائها، ونظير هذا النداء المفاجئ ما جاء في سورة النمل خطاباً لموسى عليه السلام، يقول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ النمل: ١٠، فإنّ المعنى الذهني هو على تقدير: فلمَّا وَلَّى مُدْبراً ولَمْ

يُعَقِّبْ قُلْنَا لَهُ: (يا موسى) لكِنَّ مثْلَ هذا التقدير لا يُصَرَّحُ به؛ لأنّه يُفْقِدُ المفاجأةَ جمالَها وفَنِّيَّتَها الإبداعيّة.[xxvi]

ثالثا: التنَقل العجيب في الأزمنة والأمكنة والأحداث المفاجئة

وجاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ۖ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٢٢ – ٢٣، قال البلاغيّون: في هذا النصّ التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة، فبينما كان النصّ يخاطب المشركين بعبارة: {حتى إِذَا كُنتُمْ فِي الفلك} يتحوّل إلى الغيب بعبارة: {وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ... }، وإنّ الخطاب كان موجّهاً للذين يمكُرُونَ في آيات الله، لتحويلها عن دلالاتها الإيمانيّة، والمخاطبون عند نزول النصّ، فقد لا يكونون من الذين ركبوا الْبَحْرَ وتعَرَّضُوا لمثل ما وَصَفَ النصّ بعد ذلك، لكنَّهُمْ لو تعرّضوا لمثله لكان حالُهُمْ مثل حال من وصفهم الله، نظراً إلى أن أَهْلَ الكُفْر أَشْبَاهُ في تصرُّفاتِهِم، إذِ الفطرةُ تُلْجِئُهُمْ إلى الله عند الاضطرار وشدّة الخوف، ثمَّ إنَّ كبرهم ورغبتهم في الفجور لتلبية مطالب شهواتهم وأهوائهم، مع تعلُّقِهِمْ بالعاجلة وتشبُّثِهِمْ بزينتها، أُمُورٌ تَرُدُّهُمْ بَعْدَ الأمْنِ والاطمئنان والنِّعْمةِ والرَّخَاءَ، إلى مَا كانوا فيه من بغْي قبل ذلك.

فاقتضى تشبيه حالهم بحال أمثالهم السابقين لهم حكايَةَ قِصَّةٍ مِنْ قِصَص الكافِرين السّابقين، ولهذا توقّفَ النصّ عند الفِقْرةِ الأولى المتعلّقة بشأن المخاطبين إبَّانَ التنزيل وبَعْدَه، وانْتَقَلَ مُبَاشَرَةً إلى تصوير مَشْهَد قومٍ كافِرينَ جرَتْ بهِمْ الْفُلْكُ بريحٍ طيّبة، فقال الله عزّ وجلّ **بأسلوب حكاية خَبَرٍ عن حدَثٍ مضى: {وَجَرَيْنَ بِهِم}** .

واكتَفَى النّصّ بالمقدّمة الّتي وُجّهَتْ للمخاطبين، عن ذكر نظيرها ممّا يخصُّ المتحدّث عنهم بالغيبة، فكأنّه قال لهم: فسيكون حالُكُمْ كحال كافرين قبلكم رَكبوا في الْفُلْكِ، وحصل الاكتفاء بإشارةِ قول الله عزّ وجلّ للمخاطبين: {حتى إِذَا كُنتُمْ فِي الفلك} عن أن يقول لهم: إنّكُمْ لو تعرَّضْتُمْ لمثل ما تعرّض له أصحابُ هذه القصّة لكنْتُمْ مثلَهُمْ، للتشابُه بينَكُمْ وَبينَهُمْ في أصْلِ الْفِطْرَةِ، وفي الدوافع إلى الكفر والبغي.

و(حتى) هنا غاية للتسيير، وهي هنا ابتدائية أعقبت بحرف المفاجأة وجوابِه، والجملة والغايةُ هي مفاد جواب (إذا) وهو قوله: (جاءتها ريح عاصف) فمجيء الريح العاصف هو غاية التسيير الهنيء المنعم به، إذ حينئذٍ ينقلب التسيير كارثة ومصيبة[xxvii] .

هذا فنٌّ من الإبداع في الإيجاز بعرض المشاهد الماضية مع الإشارة التعريضيّة الضمنيّة إلى أنّ المخاطبين مثل أصحاب هذه المشاهد، غير فنّ الالتفاتِ من الخطاب إلى الغيبة، إنّه من الصُّور الأدبيّة العجيبة في البيان[xxviii].

أَلَيْسَ هذا التَنَقُّلُ العجيب في الأزمنة والأمكنة والأحداث المفاجئة مع استخدام مُخْتَلِف الأساليب من الإعجاز البيانيّ في القرآن يعدّ من قِمَّةِ الأدَب الّتي لاَ يَرْتقيها بشر؟!.

رابعا: المفاجأة بالكناية

تمثلت في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ النمل: ٤٥، مثل ضربه الله لحال المشركين مع المؤمنين وجعله تسلية لرسوله (صلى الله عليه وسلم) بأن له أسوة بالرسل والأنبياء من قبله، ولما كان ما حلّ بالقوم أهمّ ذِكر في هذا المقام قدم المجرور على المفعول لأن المجرور هو محل العبرة، وأما المفعول فهو محلّ التسلية، والتسلية غرض تَبَعيّ، ولام القسم لتأكيد الإرسال باعتبار ما اتصل به من بقية الخبر؛ فإما أن يكون التأكيد لمجرد الاهتمام، وإما أن يبنى على تنزيل المخاطبين منزلة من يتردد فيما تضمنه الخبر من تكذيب قومه إياه واستخفافهم بوعيد ربّهم على لسانه، وحلول العذاب بهم من أجل ذلك

لأن حالهم في عدم العظة بما جرى للمماثلين في حالهم جعلهم كمن ينكر ذلك.

و(أن أعبُدوا الله) تفسير لما دل عليه (أرسلنا) من معنى القول، وفرع على) أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً إذا هم فريقان يختصمون)، فالمعنى: أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً لإنقاذهم من الشرك ففاجأ من حالهم أن أعرض فريق عن الإيمان وآمن فريق، والإتيان بحرف **المفاجأة كناية** عن كون انقسامهم غير مرضي فكأنّه غير مترقب، ولذلك لم يقع التعرض لإنكار كون أكثرهم كافرين إشارة إلى أن مجرد بقاء الكفر فيهم كاف في قبْح فعلهم وحالهم هذا مساوٍ لحال قريش تجاه الرسالة المحمدية، وأعيد ضمير (يختصمون) على المثنى وهو (فريقان) باعتبار اشتمال الفريقين على عدد كثير، والفريقان هما: فريق الذين استكبروا، وفريق الذين استضعفوا وفيهم صالح، والفاء للتعقيب وهو تعقيب بحسب ما يقتضيه العرف بعد سماع الدعوة، والاختصام واقع مع صالح ابتداء ومع أتباعه تبعاً[xxix].

ومن المفاجأة في الكناية:

قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت: ٣٤

يؤكد ابن عاشور تحقق المفاجأة بالكناية في النص الكريم فـ (إذا) للمفاجأة وهي كناية عن سرعة ظهور أثر الدفع للعداوة بالتي هي أحسن في انقلاب العدوّ صديقاً، وعدل النص القرآني

عن ذكر العَدوّ معرّفاً بلام الجنس إلى ذكره باسم الموصول ليتأتى تنكير عداوة للنوعية، وهو أصل التنكير فيصدق بالعداوة القوية ودونِها، فضلا عن أن ظرف (بَيْنَك وبَيْنَه) يصدق بتحقق البين القريب والبين البعيد، وهو ملازمة العداوة أو طُرُوَّها، وهذا تركيب عالي البلاغة؛ لأنه يجمع أحوال العداوات فيعلم أن الإحسان ناجع في اقتلاع عداوة المحسَن إليه للمحِسِن على تفاوت مراتب العداوة قوة وضعفا وتمكناً وبعداً، ومن المعلوم أنه ينبغي أن يكون الإحسان للعدوّ قوياً بقدر تمكن عداوته ليكون أنجع في اقتلاعها، وأما التشبيه في قوله: (كأنَّه وليٌّ حَميمٌ)، فهو تشبيه في زوال العداوة ومخالطة شوائب المحبة، فوجه الشبه بذلك هو المصافاة والمقاربة وهو معنى متفاوتُ الأحوال، أي أنه مقول على جنسه بالتشكيك على اختلاف تأثر النفس بالإحسان إليها وتفاوت قوة العداوة قبلَ الإحسان، ولا يبلغ مبلغ المشبَّه به؛ لأنّ من النادر أن يصير العدوّ وليّاً حميماً، فإنْ صار كذلك فهو لعوارض غير داخلة تحت معنى الإسراع الذي حققته دلالة (إذا) الفجائية[xxx].

قوله تعالى﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ الأنبياء: ٤٠

فلا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم: يقول: فتغشاهم فجأة، وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه (فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا) يقول: فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم (وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ)، فهو تذكير بالإمهال وتفسيح وقت التذكر عليهم، فهم لا يمهلون بعد طول الإمهال[xxxi].

الخاتمة

إن المتدبر في آيات الذكر الحكيم يجد أن المفاجأة أمر حاصل من غير ترقب ويستعظم أمره غالبا، وتكون المفاجأة بحدوث ما لم يكن في الحسبان، وقد تحدث القرآن المجيد عن المفاجأة التي يذهل لها من كان ينكر يوم القيامة، مصورا المشاهد كأنها رأي العين بين من آمن بالبعث ومن كفر به، وذهول هؤلاء المنكرين، وقد فوجئوا بوقوع يوم القيامة، ولكن هذه المفاجأة ليست شديدة لكونهم أُبلغوا بما سيحصل لهم فكذبوا الرسل على ما أبلغوهم به، فجاء وقوع يوم القيامة مصداقا لما كذبوه، فالعلم المسبق حاصل ولكن إنكارهم أحبط سعيهم، فالمفاجأة قد تكون شديدة

وأشد من الشديدة وتأتي مع (إذا) الفجائية، وكذلك مع كلمة (بغتة) ويبدو أن استعمال هذه الكلمة هو الذي يجعل المفاجأة شديدة، وقد جاءت في آيات الذكر الحكيم على أبلغ أسلوب وأدق عبارة وألطف سياق وأبهر مشهد لتزيل الذهول والغفلة عن أفهام المخاطبين وعقولهم، ويخلص البحث إلى أن المفاجأة مصطلحٌ دالٌ على استعمال نحوي وبلاغي متميز، ويوصي بإضافته إلى المصطلحات البلاغية، والحمد لله على توفيقه وإحسانه

الهوامش

(i) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:62/1.

(ii) كتاب الأفعال: 484/2.

(iii) لسان العرب، ابن منظور:3350/5.

(iv) غرائب التفسير وعجائب التأويل:692/2.

(v) ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ج315/2.

(vi) الاتقان في علوم القرآن:3/ 1017.

(vii) تفسير الخطيب الشربيني:93/4.

(viii) المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق: 29.

(ix) من بلاغة القرآن: 223.

(x) ينظر: تفسير أبي السعود:358/2.

(xi) جامع البيان في تأويل القرآن:445/18؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:271/2.

(xii) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 585/2.

(xiii) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:394/5؛ ولطائف الإشارات تفسير القشيري: 503/3؛ وبيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]:342/3.

(xiv) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان:561/1؛ الغيب:186/12؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور:637/2؛ غريب القرآن: 153.

(xv) المعجزة الكبرى القرآن:100.

(xvi) ينظر: تفسير أبي السعود: 288/6.

(xvii) ينظر: بدائع الفوائد: 3/ 54- 55.

(xviii) ينظر: المصدر نفسه:55/3.

(xix) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:150/4.

(xx) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: 512/12.

(xxi) التحرير والتنوير- الطبعة التونسية: 49/26-52.

(xxii) تلخيص البيان في مجازات القرآن:239/2.

(xxiii) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:168/3.

[xxiv] محاسن التأويل:270/7؛ وتفسير أبي السعود:115/6.

[xxv] التحرير والتنوير– الطبعة التونسية:103/14.

[xxvi] البلاغة العربية:350/2–351.

[xxvii] التحرير والتنوير . الطبعة التونسية:136/11.

[xxviii] البلاغة العربية:356/2–357.

[xxix] التحرير والتنوير . الطبعة التونسية:277/19–278.

[xxx] ينظر: التحرير والتنوير . الطبعة التونسية:293/24

[xxxi] ينظر الكشاف: وتفسير أبي السعود: .

المصادر والمراجع

1. الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د.ط، 1918م.
2. بدائع الفوائد: لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي (المتوفى: 751هـ)، عني بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله، إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.
3. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ) المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1393 هـ – 1973 .
4. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ– 1996م.
5. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997م.
6. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.
7. تفسير الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري(977هـ) خرج آياته وأحاديثه وعلق حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة: الأولى، 1425هـ–2004م.
8. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: 150هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ–2002م.
9. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضى، (المتوفى: 406هـ)، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، 1374هـ–1955م.
10. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسال، الطبعة: الأولى، 1420– 2000 م.
11. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة 1407هـ – 1987م.

12. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ) دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن– بيروت.
13. غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: 1398هـ – 1978م.
14. كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: 515هـ) عالم الكتب الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م
15. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.
16. لسان العرب، ابن منظور، (المتوفى: 711هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
17. لطائف الإشارات تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الطبعة: الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب– مصر، د.ط، د.ت.
18. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى– 1418هـ.
19. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
20. مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1421هـ– 2000م.
21. المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1999م.
22. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: 1384هـ)، نهضه مصر، القاهرة، 2005م
23. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي يعقوب المغربي (المتوفى: 897هـ)، مطبوع ضمن شروح التلخيص، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه بمصر، د.ط، 1370هـ–1970م.
24. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية– بيروت– 1415هـ– 1995م.
25. وبيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، الناشر: مطبعة الترقي– دمشق، الطبعة: الأولى، 1382هـ– 1965م.